

استثمار بعض الآليات التداولية في العملية التعليمية التعلمية في المرحلة الجامعية

Investing Some of the Pragmatic Mechanisms in the Teaching and Learning Process in University Stage.

أ. رفيقة بن ميسية ♥

تاريخ الاستلام: 2022-05-12 تاريخ القبول: 2023-08-11

ملخص: يحاول هذا البحث توضيح فكرة مفادها أنّ استثمار اللسانيات التداولية أصبح مطمحا مشروعا في العملية التعليمية التعلمية، لا سيما في المرحلة الجامعية كونها تركز على فكرة تعزيز التواصل بين أطراف العملية التواصلية، وهي الغاية نفسها التي تسعى إلى تفعيلها العملية التعليمية التعلمية في إطار استثمارها لمختلف المقاربات البيداغوجية والنظريات اللسانية التي تدعم هذه العملية، وسيوضح هذا الأمر من خلال تطبيق بعض الآليات التداولية في العملية التواصلية بين الأستاذ والطالب في المرحلة الجامعية، ومن أهم هذه الآليات: متضمنات القول، مبدأ التعاون، الحجاج .

وقد أظهرت النتائج أنّه وفي ضوء العلاقة المؤكدة بين أهداف التداولية كمنهج لساني إجرائي وبين أهداف تعليمية اللغة كمنهج تعليمي، فقد بات من الضروريّ توظيف مفاهيمها ومبادئها في العملية التعليمية التعلمية التواصلية.

كلمات مفتاحية: الآليات التداولية؛ الطالب؛ الأستاذ؛ العملية التعليمية التعلمية؛ المرحلة الجامعية.

♥ جامعة الإخوة منطوري قسنطينة 1، الجزائر، البريد الإلكتروني:

rafika.benmicia@umc.edu.dz (المؤلف المرسل).

Abstract: This research aims to clarify the idea that investing in pragmatic linguistics has become a viable goal in the teaching and learning process, particularly in the university stage, as it focuses on enhancing communication between the parties involved in the communicative process. This is the same goal sought by activating the teaching and learning process within the framework of its investment in various pedagogical approaches and linguistic theories that support this process. This will be demonstrated by applying some pragmatic mechanisms in the communicative process between university teachers and students in the university stage. The most important of these mechanisms include speech components, cooperative principle, and argumentation.

The results showed that in light of the confirmed relationship between the goals of pragmatics as a procedural linguistic approach and the goals of language didactics as an educational approach, it has become necessary to employ its concepts and principles in the teaching, learning, and communicative process.

Keywords: Pragmatic mechanisms; student; University teacher; Teaching and learning process; University stage.

1. مقدمة: إنَّ حتمية التفكير في محاولة توظيف إجراء جديد يعتمد اعتمادا كليا على مراعاة الكفاية التواصلية للمتعلم، أصبح مطمحا مشروعا في العملية التعليمية التعلمية لاسيما في المرحلة الجامعية كونها من أهم المراحل التعليمية بالنسبة له والتي تتجسد فيها كل كفاياته (اللغوية والخطابية والتواصلية)، فهو مطالب بتجاوز حدود معرفته بقواعد لغته، ليكون تركيزه أكثر على كيفية استعمالها داخل الممارسة الصفية وخارجها، إذ ليس المهم هو التمكن من معرفة قواعد اللغة فقط، بل الأهم معرفة استعمال اللغة في مختلف المواقف التواصلية والسياقات الاجتماعية والثقافية والنفسية وغيرها، وهو ما تسعى إلى تحقيقه التداولية كمنهج لساني وكآلية جديدة لقراءة النصوص الأدبية والخطابات التواصلية بين طرفي العملية التعليمية التعلمية، حيث يتعدى هدف العملية التعليمية التعلمية حسب إجراءاتها حدود مسألة

التّكوين والتّقييم إلى التّركيز على إجراءات التّواصل والتّوصيل والممارسة الفعلية للغة بشكلٍ ناجح.

وفي إطار ما تسعى إلى تحقيقه التّداولية كمنهجٍ لسانيّ يرد استثماره في العملية التّعليمية التّعلمية، فقد آثرنا أن نعرف مدى استثماره في العملية التّعليمية التّعلمية التّواصلية في المرحلة الجامعية.

ومن هذا المنطلق، فإنّ إشكالية هذا البحث تتمحور حول ما يلي:

- ما مدى فعالية استثمار بعض الآليات التّداولية في العملية التّعليمية التّعلمية التّواصلية في المرحلة الجامعية؟

ويتفرّع عن الإشكالية الرّئيسة للبحث عدّة تساؤلات فرعية يمكن إجمالها على هذا النحو:

إلى أيّ مدى يمكن تطبيق بعض الآليات التّداولية في العملية التّعليمية التّعلمية التّواصلية في المرحلة الجامعية؟

- كيف يمكن تطبيق إجرائيّ الافتراض المسبق والأقوال المضمرّة في العملية التّعليمية التّعلمية التّواصلية في المرحلة الجامعية؟

- كيف يمكن أن نستثمر مبدأ التّعاون عند بول غرابيس في العملية التّعليمية التّعلمية التّواصلية في المرحلة الجامعية؟

- إذا كان الحجاج آليّة لسانية تداولية يُفترض تطبيقها في العملية التّعليمية التّعلمية التّواصلية في المرحلة الجامعية، كيف يتمّ تحقيق ذلك؟

ولمعالجة الإشكالية المطروحة، فقد تمّ الاعتماد على المنهج الوصفيّ القائم على إجراء التّحليل وهو منهج يتوافق وخصوصيات الموضوع المطروح، إذ يتطلّب الوصف والتّحليل في الوقت نفسه.

2. مفهوم التّداولية وعلاقتها بتعليمية اللغة.

1.2 مفهوم التّداولية: تعدّدت تعريفات التّداولية (Pragmatique) بتعدّد رؤى

باحثيها واختلاف توجّهاتهم الفكرية، وقد أجمعوا على أنّ أقدم تعريف لها هو لموريس (Morris) سنة 1938م، حين عدّها جزءاً من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعمليّ هذه العلامات.¹ وقد عرّفها أيضاً الباحثان آن ماري

ديبر (A.M Diller) وفرنساو ريكاناتي (F.Récanati) بأنها: «دراسة استعمال اللغة في الخطاب شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية»²، فالتداولية تُعنى بالخطاب كظاهرة اجتماعية تواصلية محققة بين عناصر الخطاب، وهو ما أكدّه فرنسيس جاك (Francis Jacques)، حيث يرى أنّها دراسة للغة بوصفها ظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية في الوقت نفسه.³، أمّا جورج يول، فيرى أنّ التداولية لا تبحث في دلالة الكلمات بقيمها الحرفية، وإنما تبحث عن المقاصد التي يريد المتكلم إيصالها إلى المخاطب، وبذلك فقد حدّد اهتمامها «بدراسة المعنى كما يوصله المتكلم (أو الكاتب) ويفسره المستمع (أو القارئ)، لذا فإنّها مرتبطة بتحليل ما يعنيه الناس بألفاظهم أكثر من ارتباطها بما يمكن أن تعنيه كلمات أو عبارات هذه الألفاظ منفصلة»⁴، ويرى صلاح فضل أنّ التداولية «هي ذلك العلم الذي يعنى بالشروط اللازمة لكي تكون الأقوال اللغوية "مقبولة وناجحة وملائمة" في الموقف التواصلية الذي يتحدّث فيه المتكلم»⁵، أي أنّ مستعمل اللغة يسعى دائما إلى إيصال خطاب ما، ولكي يكون هذا الخطاب ناجحاً، لا بدّ أن يكون مقترنا باستراتيجية معينة تضمن له هذا التحقّق الفعليّ المقصود.

2.2 علاقة التداولية بتعليمية اللغة: انطلاقاً من التعريفات السالفة الذكر التي

تجمع على أنّ التداولية، هي علم للتواصل تدرس اللغة في مجال الاستعمال، يتّضح أنّ هناك علاقة وطيدة بين التداولية والتعليمية، فبينما تعنى التداولية باللغة في حيزها الاستعماليّ ووضعية المخاطب والمخاطب في مواقفها الكلامية، تعنى العملية التعليمية بطرفين رئيسين في عمليتها، وهما الملقّي (المعلّم)، والمتلقّي (المتعلّم) وبذلك فإنّ الهدف الأساس من العملية التعليمية هو تكوين متعلّم قادر على التواصل مع الآخرين بشكل ناجح ومنتج من استعمال اللغة في إطارها الصحيح، وهو الهدف نفسه الذي تسعى إلى تحقيقه التداولية كمنهج لسانيّ إجرائيّ، يقول الجيلاي دلاش «وهكذا نرى بأنّ توجّه صناعة التعلّم الحالية يقوم على إيلاء المتعلّم الإذليات من جهة أخرى، ذلك لأنّ مفهوم التبليغ هو الذي يجب أن يكون الأسبق والمحرّك، وليس اللغة؛ إنّ الاهتمام بالمتعلّم يعني الاعتراف الكليّ بأنّ هدفه هو التبليغ لا إحكام اللغة

وحذقها، وأنّ هذا الوجه الأخير ليس سوى وسيلة، وليس غاية في حدّ ذاته، ووسيلة واحدة ضمن وسائل أخرى»⁶.

إذن، فالنّداوليّة والتّعليميّة يشتركان في نقطة رئيسة، وهي أنّ كليهما يركّز على الخطاب وطريقة نقله بين الملقّي والمتلقّي، وكيفيّة تأويله، فبينما تسعى النّداوليّة إلى التّركيز على مستعمل اللّغة وطريقة استخدامه وتأويله لها، تسعى التّعليميّة أيضًا إلى التّركيز على كيفية استخدام المتعلّم للغة، وكيف يستطيع تأويلها وكيف يستطيع استخدامها في قاعة الدّرس، وفي شتّى مجالات حياته، وبذلك يصبح هذا المتعلّم قادرا على استغلال هذه اللّغة على الصّعيدين معا؛ المعرفيّ والاجتماعيّ، إذ تنتقل لغته من داخل جدران قاعة الدّرس إلى خلف جدران تلك القاعة، ممثّلة في البيت والشّارع والإدارة والمقهى وغير ذلك.

وفي ضوء هذا التّداخل بين التّعليميّة والنّداوليّة يمكن القول إنّ التّعليميّة عرفت ثراء كبيرا في العصر الحديث باستفادتها من مقولات اللّسانيّات الاجتماعيّة السّابقة ونظيرتها ومن البحوث النّداوليّة أساسا، حيث تأكّد أنّ التّعليم لا يقوم على تعليم البنى اللّغويّة دون الممارسة الميدانيّة التي تسمح للمتعلّم بالتّعرّف على قيم الأقوال وكميّات الكلام ودلالات العبارات في مجال استخدامها، إلى جانب أغراض المتكلّم ومقاصده التي لا تتّضح إلّا في سياقات مشروطة.⁷

3. عناصر العمليّة التّعليميّة التّعلّميّة في المرحلة الجامعيّة في ضوء

المقاربة النّداوليّة: تقتضي عمليّة التّواصل ثلاثة عناصر رئيسة؛ متكلّمًا ومخاطبًا وخطابًا ينتجه المتكلّم ويؤوّله المخاطب⁸، وهي العناصر نفسها التي تقتضيها العمليّة التّعليميّة التّعلّميّة في إطار تفاعل أطرافها، وفيما يلي توضيح لدور كلّ عنصر من هذه العناصر:

1.3 المخاطب (الأستاذ): وهو المرسل وهو منتج الخطاب في غالب الأحيان

ومفعله وموجّهه، باعتبار سلطته الإداريّة والبيداغوجيّة والمعرفيّة، غير أنّه وفي ضوء ما تدعو إليه المناهج التّعليميّة الحديثة والنّظريات اللّسانيّة الحديثة والمعاصرة، فإنّ المعلّم يفترض أنّه لم يعد ذلك الملقّي الأمر النّاهي في هذه العمليّة بل ينبغي أن يأخذ

دورا جديدا في العملية التعليمية التعلمية، فبعدها كان مصدرا للمعلومات ومالكا لها ينبغي أن يكون موجها ومرشدا لها.

2.3 المخاطب (الطالب): وهو المرسل إليه وهو محور العملية التعليمية التعلمية التعلمية وهدفها، إذ يفترض ألا ننظر إلى المتعلم في مختلف المراحل التعليمية في إطار الإصلاحات التربوية المتعددة وفي إطار استثمار هذه الإصلاحات لكل مستجدات الدرس اللساني الحديث، أنه ذلك المتلقي السلبي الذي يشحن ذهنه بالمعارف والأفكار، بل ينبغي أن ننظر إليه على أساس أنه طرف مشارك في إنتاج هذه المعارف أيضا، وخاصة إذا كان هذا المتعلم في المرحلة الجامعية، إذ يفترض أن يكون فيها أكثر حيوية وفاعلية بحكم وعيه ونضجه الفكري وإمكانية إنتاجه من جهة، وبحكم طبيعة هذه المرحلة من جهة أخرى، فهي مرحلة الحوار والنقاش والإنتاج الفكري، وليست مرحلة اكتساب المعارف وتلقيها.

3.3 الخطاب: إذا كان الخطاب في مفهوم إميل بنفيسست هو كل تلفظ يفترض متحدئا ومستمعا تكون للطرف الأول فيه نية التأثير في الطرف الثاني بشكل من الأشكال⁹، فإن الخطاب التعليمي المقصود به في هذا البحث هو المحتوى أو المضمون الذي يريد المخاطب (الأستاذ) إيصاله وإبلاغه للمخاطب (الطالب) بغرض التواصل معه والتأثير فيه سواء تعلق بمحتوى المقررات الدراسية التي يريد إيصالها له أو بأي منجز لغوي آخر ولبلوغ هذا الخطاب أهدافه ينبغي أن يتوفر على مجموعة من المعطيات، أهمها:

-تحقيق التواصل: إن الخطاب التعليمي في ضوء المنظور الوظيفي ينبغي أن تكون غايته الأولى هي التواصل وهو ما نجده محققا في العملية التحويرية بين المعلم والمتعلم، «فالخطاب نسيج من اللغة في المقام الأول رغم أن الاستعمال هو ما يجعله فاعلا»¹⁰.

-التفاعل بين المعلم والمتعلم: فلا يكون المعلم مجرد ملق متسلط يحشو المعلومات في ذهن المتعلم، ويكون المتعلم مجرد آلة تتلقى ما يملأ وما يفرض عليها فقط، بل إن كليهما يمثل دور المتلقي والمتلقي في الوقت نفسه.

-الدقة في تناول المنجز اللغوي محور الخطاب التعليمي: فلا تكون العبارات والألفاظ المستعملة من قبل المعلم والمتعلم عبارات وألفاظ يتخللها الحشو والفوضى، بل ينبغي تحقيق الانسجام بين ما يوجد في المخزون المعرفي وما ينسجم مع الموقف التواصلية.

-مراعاة سياق الكلام والمقام: فالخطاب من المنظور الوظيفي «ليس مجرد سلسلة لفظية (عبارة أو مجموعة من العبارات) تحكمها قوانين الاتساق الداخلية (الصوتية والتركيبية والدلالية الصرفة)، بل كل إنتاج لغوي يربط فيه ربط تبعية بين بنيته الداخلية وظروفه المقامية (بالمعنى الواسع)»¹¹، ومن هذا المنظور فإن الخطاب التعليمي ينبغي أن تراعى فيه الظروف المحيطة به، فليست كل الخطابات على نمط واحد، بل كل سياق يستدعي نمطا معيناً من الخطاب.

4. تطبيق بعض الآليات التداولية في العملية التعليمية التعلمية التواصلية

في المرحلة الجامعية: تعزز اللسانيات التداولية فكرة التواصل بين أطراف العملية التواصلية، وهي الغاية نفسها التي تسعى إلى تفعيلها العملية التعليمية التعلمية وسيوضح هذا الأمر من خلال تطبيق بعض الآليات التداولية في العملية التعليمية التعلمية التواصلية بين الأستاذ والطالب في المرحلة الجامعية.

1.4 متضمنات القول (Les Implicites): يقصد بمتضمنات القول بأنها

«مفهوم تداولي إجرائي يتعلّق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب، تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره»¹² ويندرج ضمن متضمنات القول مفهومان أساسيان، هما الافتراض المسبق والأقوال المضمره وفيما يلي توضيح لكيفية تطبيق هذين الإجراءين في العملية التعليمية التعلمية التواصلية، وكيف يمكن استثمارهما في هذه العملية.

2.4 الافتراض المسبق (Pré supposition): وهو إجراء لساني تداولي

ينطلق من فكرة مفادها أنّ الأطراف المتخاطبين ينطلقون أثناء تواصلهم من معطيات وافتراسات معترف بها ومتفق عليها بينهم تتشكل الخلفية الضرورية لنجاح عملية التواصل.¹³

لذا، فإن الافتراضات المسبقة تشكل أهمية كبيرة في عملية التواصل، وقد اعترفت التعلّميات (Didactique) بذلك مبكراً، فلا يمكن تعليم المتعلم معلومة جديدة إلا بافتراض وجود سابق يتم الانطلاق منه والبناء عليه.

وإذا أردنا أن نعرف مدى قيمة هذا المبدأ في العملية التواصلية بين الأستاذ والطالب في المرحلة الجامعية، فإنه بلا شك يمكن الاعتراف بأنه مبدأ ذو أهمية قصوى، ذلك أن أساس نجاح العملية التواصلية بينهما يكمن في استثمار الخلفية الفكرية لكليهما، لا سيما الخلفية الفكرية للطالب بعده محور العملية التعليمية التعلمية ومرتكزها، فالأستاذ أثناء مخاطبه مع الطالب عليه أن يستدرجه شيئاً فشيئاً، حتى يلج إلى خلفيته الفكرية ومكتسباته السابقة التي تمكنه من الحديث عن الموضوع المراد التّحاور فيه معه، إذ لا بدّ من تفعيل هذه الخلفية وتطويرها واستثمارها حتى وإن بدت سطحية، لأنّ إشراك الخلفية الفكرية والمكتسبات القبلية للطالب في العملية التواصلية ينتج عنه كثير من المزايا، أهمّها:

- توطيد العلاقة بينهما نتيجة إحساس الطالب بمدى أهمية معارفه السابقة؛
- زرع الثقة بالنفس عند الطالب نتيجة إدراج خلفيته الفكرية ضمن مبدأ الأولوية في العملية التواصلية؛
- اكتشاف الطالب بأنه عنصر قادر على الإنتاج والعطاء؛ لأنّ خلفيته الفكرية ومكتسباته القبلية شكّلت نقطة انطلاق العملية التواصلية والبناء عليها؛
- تعود الطالب على ربط مكتسباته السابقة بالمكتسبات اللاحقة؛
- إدراك الطالب بأنّ كلّ عملية تواصلية تتطلب مكتسبات ومرجعيات معرفية سواء أكانت ترتبط بالدّرس السابق، أو مكتسبات معرفية في مراحل تعليمية سالفة؛
- الحضور الفعلي الدائم للطالب في العملية التواصلية نتيجة التّدعيم المستمر من قبل الأستاذ؛
- تصويب الأستاذ لكلّ المعتقدات الفكرية الخاطئة التي ترصّدت في ذهن الطالب عن طريق استنطاق خلفيته الفكرية؛
- تزويد الأستاذ الطالب بمعارف أخرى تشكل خلفية فكرية جديدة له تضاف إلى الخلفية السابقة.

وبناء عليه، فإنّ الافتراضات المسبقة تسهم بشكل كبير في نجاح العملية التعلّميّة التعلّميّة التّواصلية، بل «إنّ سوء التّفاهم غالبا ما يكون مردّه إلى العجز (deficit) من حيث الافتقار إلى مجموع الافتراضات المسبقة الصّوروية للتّبليغ، كما يمكنه أن يكون سببا في إخفاق فعل الكلام»¹⁴.

3.4 الأتّوال المضمرة (Les sous-entendus): عدّت الأتّوال المضمرة

النّمط الثّاني من متضمّنات القول، إذ ترتبط بوضعيّة الخطاب ومقامه، ويراد بها كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، غير أنّ تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث¹⁵.

وإدراج هذا المبدأ ضمن العملية التّواصلية بين الأستاذ والطّالب أمر طبيعيّ، إذ إنّ كليهما يضمّر معاني أخرى أثناء تخاطبه مع الآخر، وكليهما يسعى إلى تأويل خطاب الآخر، «فالأتّوال المضمرة في الخطاب تكتشف عن طريق تأويل تلك الخطابات حسب سياقات استعمالاتها، والشّيء الذي يتدخّل في التّأويل ليس السّؤال: ماذا يقول المتكلّم؟ ولكن لماذا يقول ما يقوله في سياق معيّن؟ فالتّأويل يجري على السّؤال الذي يطرح حول التّلقّظ، وليس حول الملفوظ ذاته»¹⁶.

أي أنّ تأويل خطابهما لا يتوقّف على ماذا يقوله كلّ منهما، ولكن على المعاني المضمرة حول هدف هذا القول، ومن ثمة يتعوّد كلّ منهما على قراءة وتأويل خطاب الآخر، كما يتعوّد كلّ منهما أيضا على التّركيز حول خطاب كلّ منهما ومبتغاه. وعن طريق هذه التّأويلات المتعدّدة للأتّوال المضمرة يصبح مجال التّواصل بينهما أكثر انفتاحا وفاعلية، إذ لا يكون التّواصل محدودا، بل متعدّد الاتّجاهات والأهداف.

4.4 مبدأ التّعاون (Le principe de cooperation): يعدّ مبدأ التّعاون

عند بول غرايس من أهمّ المبادئ التي تتبناها المقاربة الوظيفيّة التّداوليّة والتي ينبغي استثمارها في العملية التّواصلية بين المعلّم والمتعلّم في مختلف الأطوار التعلّميّة بصورة عامّة والجامعيّة بشكل خاصّ، ذلك أنّ هذه المرحلة يفترض أن يكون أطرافها المتواصلة فيها أكثر تشاركا وتفاعلا وتعاونًا، وهو ما يتوافق مع المبدأ العام الذي أرسى دعائمه غرايس، حيث يقتضي تعاون المتخاطبين في تحقيق الهدف من

حوارهم.¹⁷ وقد صاغه على النحو الآتي: «قم بمساهمتك في التّواصل، بالطريقة التي يتّخذها الهدف التّواصليّ، المخوض في الفترة اللاّزمة»¹⁸.

وعليه؛ فإنّ مبدأ التّعاون عند غرايس يقتضي إشراك المتخاطبين في حواراتهم دون الخروج عن حدود قواعد التّخاطب، والتي تتمثل في: الكميّة، الكيفيّة، العلاقة أو الملاءمة، الجهة أو الطّريقة¹⁹.

1.1.4 قاعدة الكميّة: وترتبط بكميّة المعلومات الواجب تقديمها أثناء عمليّة

التّخاطب، أي أنّها تقتضي مراعاة الحدّ المطلوب من الكلام دون زيادة أو نقصان وتتفرّع بدورها إلى مقولتين، هما: لتكن إفادتك المخاطب على قدر الحاجة، ولا تجعل إفادتك تتجاوز الحدّ المطلوب.

2.4.4 قاعدة الكيفيّة: وتعني تمسك المحاور بقول ما يعتقد صدقه وتجنّب

قول ما لا يوجد عليه دليل.

3.4.4 قاعدة العلاقة أو الملاءمة: وتعني أن يكون كلام المحاور مناسباً

لمقامه، بمعنى أن يلائم بين المقال والمقام.

4.4.4 قاعدة الجهة أو الطّريقة: وتعني مراعاة المحاور الوضوح في الكلام

إذ ينطلق من ثلاث مسلمات، وهي: ترتيب الكلام وتجنّب الغموض والاحتراز من الإطالة التي تودّي إلى الاضطراب والملل فيما يقول.²⁰

لذلك، فإنّ بلوغ مقاصد أطراف العمليّة التّواصلية الحوارية (الأستاذ والطّالب) في إطار هذا المبدأ يكون منطلقه الرّئيس «ليكن إسهامك في الحوار بالقدر الذي يتطلّبه سياق الحوار، وبما يتوافق مع الغرض المتعارف عليه أو الاتّجاه الذي يجري فيه ذلك الحوار»²¹.

وانطلاقاً من هذا التّوجّه الذي أرسى معالمه غرايس والذي يدعّم فكرة التّحاور بين المخاطب والمخاطب والذي لا يختلف عن غاية العمليّة التعليمية التّعلمية في المرحلة الجامعية التي تراهن على فكرة تفعيل التّحاور بين الأستاذ والطّالب، فإنّه يمكن استغلال قواعده ومبادئه في العمليّة التّواصلية بين الأستاذ والطّالب حيث يبتعد الأستاذ عن كلّ الاستطرادات التي لا تخدم خطابه التّعليمي، بل يجب أن يتقيّد بالقدر

المطلوب من المعلومات التي يحتاجها فقط، كما يتعد الطالب في الوقت نفسه عن العشوائية في خطابه، بل ينبغي أن يتعود على الحوار الدقيق والمركّز.

وعليه؛ فإنّ الحوار الذي يدور بين الطالب والأستاذ حول خطاب معين لا ينبغي أن يتعدّى حدّاً أقصى من المعلومات، وبذلك يكون كلا الطرفين قد طبّقاً مبدأ الكميّة كما ينبغي أن يحتكم الأستاذ أثناء تخاطبه مع الطالب إلى أدلّة مقنعة، فتكون خطابه معلّلة قائمة على الحجج والبراهين، وكذلك الأمر بالنسبة للطالب فلا ينبغي أن تكون خطابه غير معلّلة وغير مقنعة، بل ينبغي أن يتعود على ربط كلّ خطاب بدليل مقنع، وبذلك يخلق بينهما جوّ من الإقناع والافتتاح، فيتحقّق الصدق في عملية التّواصل، وبذلك يكون كلا الطرفين قد طبّقاً مبدأ الكيفيّة.

وإضافة إلى تحقيق هذين المبدأين، فإنّه يمكنهما تحقيق مبدأ آخر يتجلى في مبدأ الملاءمة، حيث يراعي كلّ منهما سياق خطابه، حيث لا ينبغي أن يتعد الأستاذ أثناء التّواصل مع الطالب عن سياق الخطاب التّعليمي المراد إيصاله له، كما لا ينبغي أن ينشغل الطالب هو الآخر بأمر أخرى لا علاقة لها بسياق هذا الخطاب، بل لا بدّ من كليهما أن يكون منطلق حوارهما مراعاة مقام الخطاب المراد إيصاله.

أمّا بالنسبة للوضوح وترتيب المعلومات وتنظيمها وبعدها عن اللبس الذي يؤكدها مبدأ الجهة أو الطّريقة عند غرايس فهو مطلب رئيس ينبغي تحقيقه في العمليّة التّعليميّة التّعلّميّة التّواصلية بين الأستاذ والطّالب، إذ لا نجاح لهذه العمليّة من دون وضوح ودقة وتنظيم خطاب كلّ منهما.

وبذلك يمكن القول إنّ استثمار مبدأ التّعاون عند غرايس القائم على مجموعة من القواعد في العمليّة التّعليميّة التّعلّميّة التّواصلية في المرحلة الجامعيّة قد بات ضرورياً؛ ذلك لأنّه يسهم إسهاماً كبيراً في عمليّة ضبط الحوار القائم بين الأستاذ والطّالب، وهو أولى أهداف العمليّة التّعليميّة التّعلّميّة في ضوء المقاربة الوظيفية التّداوليّة.

5.4.4 الحجّاج (Argumentation): لا يخرج دور الحجّاج عن الإقناع

فهو طريقة تقود إلى تحقيق الرّغبات المختلفة انتصاراً لفكرة أو تعزيزاً لمذهب أو تأكيدا لأطروحة أو إبرازاً لمختلف القدرات الذهنيّة والمهارات اللّغويّة²².

وانطلاقاً من هذه الفرضية، فإنّ الحجاج آلية لسانية تداولية يفترض تطبيقها تلقائياً في العملية التعليمية التعلمية التواصلية، إذ إنّ عملية التأثير بين أطرافها مقترنة بالتقنيات الحجاجية التي يستخدمونها أثناء تواصلهم، فكّما كانت الحجج مقنعة وكانت طرائق تقديمها فاعلة أدّى ذلك إلى تحقيق تواصل أنجع.

5. خاتمة: بعد التّطرق إلى موضوع إمكانية استثمار بعض الآليات التداولية في

العملية التعليمية التعلمية التواصلية بين الطالب والأستاذ في المرحلة الجامعية وتبيان مدى فاعليتها في هذا المجال، يمكننا تسجيل بعض النتائج:

- في ضوء العلاقة المؤكدة بين أهداف التداولية كمنهج لسانيّ إجرائيّ وبين أهداف تعليمية اللغة كمنهج تعليمي، فقد بات من الضروريّ توظيف مفاهيمها ومبادئها في العملية التعليمية التعلمية التواصلية؛

- تصنع المقاربة الوظيفية التداولية علاقة جديدة بين طرفي العملية التواصلية (الأستاذ والطالب)، حيث يتبادل الطرفان الأدوار، فيصبح كلّ منهما مستقبلاً ومنتجاً في الوقت نفسه؛

- يدعّم مبدأ التعاون عند غرايس القائم على مجموعة من القواعد والمسلمات فكرة التّحاور بين المخاطب (الأستاذ) والمخاطب (الطالب)، وفي الوقت نفسه يسهم إسهاماً كبيراً في عملية ضبط الحوار القائم بينهما؛

- إدراج مبدأ الأقوال المضمرة ضمن العملية التواصلية بين الأستاذ والطالب أمر طبيعيّ وضروريّ في الوقت نفسه، إذ إنّ كليهما يضمّر معاني أخرى أثناء تخاطبه مع الآخر، وكليهما يسعى إلى تأويل خطاب الآخر وعن طريق هذه التّأويلات المتعدّدة للأقوال المضمرة يصبح مجال التّواصل بينهما أكثر انفتاحاً وفاعليّة، إذ لا يكون التّواصل محدوداً، بل متعدّد الاتجاهات والأهداف؛

- الحجاج آلية لسانية تداولية يفترض تطبيقها تلقائياً في العملية التعليمية التعلمية التواصلية، إذ إنّ عملية التأثير بين أطرافها مقترنة بالتقنيات الحجاجية التي يستخدمونها أثناء تواصلهم، فكّما كانت الحجج مقنعة وكانت طرائق تقديمها فاعلة أدّى ذلك إلى تحقيق تواصل أنجع.

-التواصل بصورة عامّة عمليّة معقّدة وصعبة في الوقت نفسه لاقترانها بعوامل متداخلة (ذهنيّة، نفسيّة، اجتماعيّة، ثقافيّة...) يصعب التّحكّم فيها، أمّا إذا قرنت هذه العمليّة بالعمليّة التعليميّة التّعلّميّة فهي أكثر صعوبة وتعقيدا، فرغم الدّراسات والأبحاث التي قدّمت حول هذا المجال ورغم استثمار مختلف المقاربات البيداغوجيّة واللّسانيّة التي لها صلة وطيدة بها، إلّا أنّنا لم نصل بعد إلى تحقيق تواصل أمثل بين أطراف العمليّة التّواصلية، ولم نصل بعد إلى الطّرائق الفعليّة التي تضمن فعليًا وتطبيقًا نجاعة هذه العمليّة.

6. قائمة المراجع:

- أحمد المتوكّل، قضايا اللّغة العربيّة في اللّسانيات الوظيفيّة، بنية الخطاب من الجملة إلى النّصّ دار الأمان، الرّباط، المغرب.
- المنحى الوظيفي في الفكر اللّغوي العربي، الأصول والامتداد، ط1، 1427هـ -2006م دار الأمان، الرّباط.
- آن رويول، جاك موشلار، التّداولية اليوم، علم جديد في التّواصل، ترجمة: سيف الدّين دغفوس، محمّد الشّيباني، مراجعة لطيف زيتوني، المتّظمة العربيّة للترجمة دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.
- جابر عصفور، آفاق العصر، دار الهدى للثقافة والنّشر، دمشق، 1997م.
- الجيلالي، دلاش، مدخل إلى اللّسانيات التّداوليّة، ترجمة: محمّد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر.
- خليفة بوجادي، في اللّسانيات التّداوليّة مع محاولة تأصيليّة في الدّرس العربي القديم، بيت الحكمة للنّشر والتّوزيع، العمة، الجزائر، ط1، 2009م.
- ذهبيّة حمو الحاج، لسانيات التّلفّظ وتداوليّة الخطاب، دار الأمل، الجزائر 2005م.
- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النّصّ، عالم المعرفة، 1992 م.
- طه عبد الرّحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي الدّار البيضاء، المغرب، ط2، 2000م.
- اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي الدّار البيضاء المغرب.

- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغيّر، مقارنة تداوئية معرفية لآليات التّواصل والحجاج أفريقيا الشّرق، المغرب.
- عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداوئية، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بنغازي، ليبيا، ط1، 2004م.
- فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداوئية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي 1985م.
- مسعود صحراوي، التداوئية عند العلماء العرب، دراسة تداوئية لظاهرة الأفعال الكلامية في التّراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005 م.
- فليب بلانشيه، التداوئية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتّوزيع، سورية، ط 1، 2007م.
- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية الأزاريطة، مصر، 2002 م.

7. هوامش ♥:

- 1- فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداوئية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي 1985م، ص4، روبول آن، موشلار جاك، التداوئية اليوم، علم جديد في التّواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس، محمّد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، المنظّمة العربية للتّرجمة بيروت، لبنان، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط 1، 2003 م، ص 29.
- 2- فرانسواز أرمينكو، المرجع نفسه، ص 4.
- 3- فليب بلانشيه، التداوئية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، سورية، دار الحوار للنشر والتّوزيع، سورية، ط 1، 2007، ص 19.
- 4- جورج يول، التداوئية، ص 19.
- 5- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النّصّ، عالم المعرفة، 1992 م، ص 20.
- 6- الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداوئية، ترجمة: محمّد يحياتن، الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية، ص 48-49.
- 7- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداوئية، مع محاولة تأصيلية في الدّرس العربي القديم ص 133.

- 8- أحمد المتوكّل، المنحى الوظيفي في الفكر اللّغوي العربي، الأصول والامتداد، الرّباط: دار الأمان. ط1، 1427هـ -2006م، ص 28.
- 9- جابر عصفور، آفاق العصر، دمشق، دار الهدى للثقافة والنشر، 1997 م، ص 48.
- 10- عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب، ص 23.
- 11- أحمد المتوكّل، قضايا اللّغة العربيّة في اللّسانيات الوظيفيّة، بنية الخطاب من الجملة إلى النّص، ص 16.
- 12- مسعود صحراويّة التّدوليّة عند العلماء العرب، دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التّراث اللّساني العربي بيروت، دار الطليعة، ط1، 2005 م، ص 30.
- 13- ينظر: الجبلاي دلاش، مدخل إلى اللّسانيات التّدوليّة، ص 34، ومسعود صحراوي التّدوليّة عند العلماء العرب، ص 30-31.
- 14- الجبلاي دلاش، مدخل إلى اللّسانيات التّدوليّة، ص 35.
- 15- ينظر: مسعود صحراوي، التّدوليّة عند العلماء العرب، ص 32.
- 16- ينظر: زهيبة الحاج حمو، لسانيات التّفكّظ وتداوليّة الخطاب، الجزائر دار الأمل 2005م، ص 124.
- 17- ينظر: طه عبد الرّحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المغرب، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، ط2، 2000 م، ص 103.
- 18- فرانسواز أرمينكو، المقاربة التّدوليّة، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي 1985 م، ص 53.
- 19- ينظر: طه عبد الرّحمن، اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي، المغرب، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، ص 238، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 103-104 مسعود صحراوي، التّدوليّة عند العلماء العرب، ص 33-34، فرانسواز أرمينكو، المقاربة التّدوليّة، ص 55.
- 20- ينظر: مسعود صحراوي، التّدوليّة عند العلماء العرب، ص 33-34، طه عبد الرّحمن، اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي، ص 238 - 239، في أصول الحوار وتجديد الكلام، ص 103-104، محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر مصر، دار المعرفة الجامعيّة، الأزاريطة، 2002 م، ص 34 - فرانسواز أرمينكو المقاربة التّدوليّة، ص 55.

- 21- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص 96.
- 22- عبد السلام عشير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، المغرب، أفريقيا الشرق، ص 209.